باب التربية والتعليم

* المكتوب الخامس — في المدرسة الجامعة (*) *

كتب في ١٠ يوليه سنة ١٨٦٠

«من أميل» الى أبيه

كلفتني بأن أجعلك على علم بدروسي موافاة لرغبتك أقول : الجامعة التي أختلف اليها بناء في غاية الجدة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى بالضرورة مجاناً ويدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريدريكين» ذهباً (٥٠ فرنكاً) كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «بن» مثل كل الجامعات في ألمانيا الى أربع مدارس اختيارية احداها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للإلهيات ويتعلق بكل من هذه المدارس الاربع فروع مختلفة يدرسها فيها رجال مخصصون بها

الجامعة تخلي بيننا وبين حرية التصرف في وقتنا اما باضاعته أو بالانتفاع به لاني لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أني أعتقد ما قلته لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجع هو ما يفرضه الانسان على نفسه ويلتزم اتباعه

لا مراء في أن أساتذة جامعتنا متضلعون من العلوم غير أني كثيراً ما شق علي أن أتتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولهما أن هذه الافكار ليست في ذاتها واضحة وثانيهما اني لقلة تعودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن أجد من الصعوبة في فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين ويدهشني من أمر هؤلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم في العلم وبعد صيتهم مغبونون في أجر عملهم اذا استدللت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال وبقناعتهم باليسير من العيش ورثاثة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وفقرهم هذا يؤلمني

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

ويزيدهم في نفسي اجلالا على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا للتمتع بالحطام وانما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطمئنين فيها و بعضهم وهم الاكثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهؤلاء يصغون لما يلقى عليهم ويكتبون ما يلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً في اختزال الكتابة وهو وان كنت لا أشك في قصوره لأوليته يمكنني من اثبات الحدود الاساسية لما أسمعه من الجمل.

ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكيين و بروتستانتيين متشددين يعد بعضهم نفسه للاعمال الخطابية وحكماء يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلا مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وانه لا ينبغي اضاعة الوقت في العكوف على ما لا حقيقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها

رأيتك دائماً تجتنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظيما فأني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفني محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأني لست مطرحاً هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلا لها فكم مرة نظرت الى السماء في سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلا للغز هذا العالم واني منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح في البحر — وإخالك تذكره — لا ينفك عني التفكير في سر الموت حتى في أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحر جواباً فمنذ من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيدا (١) الألمانية والزنداويستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها في نفسي تأثيراً بليغاً وكان يتراءى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الاقرار بأنها لم تنقشع

(١) الفيدا كتاب الهنود المقدس وهو اسم عام تحته أربعة كتب خاصة وهو الريجفيدا والسمافيدا والياجورافيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أأعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشتغل الا بما هو ثابت محقق من نتائج العلم

أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاءة بنور علمك ومن ذا الذي أسترشده وأستهديه سواك ؟

جميع الطلبة يتعلمون المجالدة والمناضلة وأنا مقتد بهم فى ذلك فلي كل يوم ساعة أوساعتان أقضيها فى ممارستهما لان فى هذه الممارسة تمريناً مفيداً فى تقوية الاعضاء وتنميتها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر التحرش به . ومع اني لا أرجو مطلقاً أن أبلغ في المجالدة والمناضلة مبلغ الفارس سان جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتاً كافياً أني على علم باستعمال السلاح حتى يحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإعضابي فان المبارزة كثيرة الوقوع بينهم وهم يجرحون فيها أحياناً ولكن يندر والحمدلله أن يقتلوا ومن يجرح منهم لا يبالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروح على ما فيها من التشويه لخلقه من موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكتوبي راجياً أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك .

البداوة — من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبداوة تلك المعيشة العربية الخالية من ترف المدنية لا سكنى البادية فقط

ليت البداوة لي مهد ولي وطن ... ففي الحضارة لي شغل عن الجذل
أعني بداوة عرب طاب مولدهم ... وطاب محتدهم في الأعصر الأول
فالأريحية فيها والندى خلق ... ملازم لهم في الخصب والمحل
ترى العفاف لديهم مسد أروقة ... محفوفة بالتقى فى كل معتفل

(١) سان جورج شخص يذكر فى الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به ... فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يغدرون ولو كانت منيتهم ... رهن الوفاء ولا يمسون في وجل (١)
نال السموأل فيه غاية وقفت ... عنها الملوك وقوف العاجز الخجل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله ... لكان للعذر فيه واضح السبل (٢)
وعامر كان في حفظ الجوار له ... بيت من المجد مرفوع اللواء علي
يحمي المجار به من كل غائلة ... من الانس والجن بل من سطوة الاجل (٣)
وفي التقى كان عبد الله ذا ورع ... لا يعرف الشر في شيء من العمل (٤)

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت فطلب النعمان من يضمنه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبى تسليم الوديعة فأبى وقال له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت فذبح ولده والسموأل ينظر . . وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعة غير أصحابها الوارثين

(٣) كان الاعشى امتدح الاسود العنسي فأجازه بشيء كثير من الحلل والعنبر فخاف على ما معه فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني قال قد أجرتك قال من الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تجيرني من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت انك تجيرني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) في المسجد ثم أرسل خادمه

ولابن عباس في حفظ العلوم مدى ... ما فيه من مطمع يوماً الى رجل (٥)
ماذا يقال وقد سارت مناقبهم ... كالشمس فينا بنور غير منتقل
وكيف للشعر ان يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
محامد طبعت فيهم وغيرهم ... تكلفوها وليس الكحل كالكحل
كأنما نبتت هذي الفضائل في ... ارجائها فنمت في السهل والجبل
فهم كأنهم يُنشدون من كرم ... أوانه فطرة فيهم من الازل

باب الاخبار والآراء

الثورة في روسيا

العلم نور لا ينتشر في بلاد الا وينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكها وصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من الظلم والاستبداد لا يتجاوران على وفاق وسلام بل يفتآن يتنازعان ويتصارعان حتى يصرع أقواهما أضعفهما وينزعه من الارض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور، والباطل معه هو الضعيف المخذول اللهم اذا هما وجدا فتجاولا وتصاولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

يمدحون ليحضره فقال الخادم وانّى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال عجباً! وهل بقي أحد يأخذ ما ليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما أذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها وقد بلغت سبعين بيتاً فعجب الحاضرون فقال لم تعجبون وهل يسمع أحد شيئاً ولا يحفظه